فلسفة الالتزام الثوري في مسرحية فلسطين المغدورة لكاتب ياسين

The philosophy of revolutionary commitment in the play Palestine Betrayed by Kateb Yassin

بن عزوزي عبد الله

جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم ، الجزائر ، benazouziabdellah@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/03/01 تاريخ القبول: 2023/03/27 تاريخ النشر: 2023/06/05

ملخص:

تميزت الكتابات المسرحية الجزائرية بالعديد من الاتجاهات الإيديولوجية التي عبرت عن حياة المجتمعات وتطلعاتها بخطابات سياسية واجتماعية ثورية وتحررية وهو ما نلمسه في إبداعات العديد من المسرحيين الجزائريين على غرار كل من عبد القادر علولة وولد عبد الرحمن كاكي وعبد الحليم رايس وكاتب ياسين ...وغيرهم . ولعل هذا الأخير –كاتب ياسين – يعتبر أحد أهم رموز المسرح الجزائري بإبداعاته التي تصب معظمها في هذا السياق والتي اتسمت بالتزام ثوري في مضامينها، خاصة مسرحيته الشهيرة فلسطين المغدورة التي تبنى فيها خطابا ثوريا لمعالجة قضية تهم الأمة العربية معالجا من خلال هذا التوجه الثوري قضية التكالب الغربي الصهيوني على أرض فلسطين المقدسة . نهدف في محتوى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء نحو ملامح الالتزام الثوري في مسرح كاتب ياسين واتجاهاته من خلال مسرحية فلسطين المغدورة التي تعتبر نموذجا مهما من مسرحياته التي التزم فيها بالفكر الثوري التحرري سواء من حيث الشكل أو المضمون .

كلمات مفتاحية: كاتب ياسين.، فلسطين..، المغدورة.، المسرح ...،.الثوري.

Abstract:

Algerian theatrical writings were characterized by many ideological trends that expressed the lives and aspirations of societies with liberal political, social and revolutionary discourses, which we see in the creations of many Algerian playwrights, such as Abdelkader Alloula, Ould Abdel Rahman Kaki, Abdel Halim Rais, Kateb Yassin ... and others. Kateb Yassin is considered one of the symbols of the Algerian theater with his creations, most of which pour into this context, which was characterized by a revolutionary commitment in its contents, especially

his famous play Palestine Betrayed. In the content of this study, we aim to shed light on the features of revolutionary commitment in Kateb Yassin's theater and its trends through the play Palestine Betrayed, which is an important model for revolutionary liberation thought, both in terms of form and content.
.**Keywords**: Kateb Yassin; Palestine; Betrayed; The Revolutionary; Theatre.

1. مقدمة:

تتسم مختلف النصوص المسرحية لكاتب ياسين، بالاتجاه الثوري في مضامينها ويعود ذلك إلى حياته التي عاشها تحت قهر المستعمر، الأمر الذي جعله يتبنى فلسفة ثورية تحررية في مسرحياته شأنه شأن بقية المسرحيين الجزائريين الذين ساروا على هذا النهج بغية التعبير عن الواقع السياسي والاجتماعي بنزوع واقعي وملحمي وثوري ولعل مختلف المسرحيات التي كتبها كاتب ياسين كانت خير دليل على ذلك على غرار كل من مسرحية محمد خذ حقيبتك/ الأجداد يزدادون ضراوة /الجثة المطوقة/ الرجل صاحب النعل المطاطي ...وغيرها إذ نلحظ مباشرة من عناوينها وجود خطاب ثوري هادف نحو التغيير والوقوف في وجه الظلم والطغيان والبحث عن التغيير وانتقاد الواقع الاجتماعي والسياسي في قالب مسرحي.

ولعل مسرحيته الشهيرة فلسطين المغدورة من بين أهم كتاباته التي اتسمت بالخطاب الثوري سواء على مستوى الاتجاه الاديولوجي أو على مستوى المضمون . فكيف تتجلى ملامح الاتجاه الثوري في مسرح كاتب ياسين ؟ وأين يكمن هذا الالتزام في مسرحيته فلسطين المغدورة؟.

للإجابة عن هذه الإشكالية تراودنا العديد من الفرضيات التساؤلات الفرعية منها

الاتجاه الإيديولوجي الثوري في مسرحيات كاتب ياسين ؟

دواعي الالتزام الثوري في مسرحيات كاتب ياسين ؟

آليات إنتاج الخطاب الثوري في مسرح كاتب ياسين ؟

ما هي ملامح الثورة في مسرحية فلسطين المغدورة ؟

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى التطرق إلى خاصية مهمة من خصائص الكتابة والإبداع المسرحي عند كاتب ياسين وهو التزامه بالاتجاه الثوري في مضامين مسرحياته من خلال

التركيز على شخصياتها وصراعاتها، لنسج مضامين ذات أبعاد ثورية وسياسية واجتماعية وهو ما يميز مختلف كتاباته خاصة مسرحيته الشهيرة التي يعالج فيها قضية سياسية مهمة على الصعيد العربي المتمثلة في مسرحية فلسطين المغدورة التي اعتمدنا عليها كنموذج للدراسة متبنيا فيها خطابا مسرحيا ببعد سياسي واتجاه ثوري .

2. الالتزام الثوري في مسرح كاتب ياسين:

1.2 مفهوم الالتزام في الأدب والفن:

يأخذ مصطلح الالتزام عدة مفاهيم، حسب مجالات الاستخدام ويكثر استعمال هذا المصطلح في النقد الأدبي وحتى في مجال الفن المسرحي وعموما يعنى الالتزام:" أن يلتزم الأديب أو الفنان عقيدة من العقائد أو مبدأ من المبادئ، أو فلسفة من الفلسفات..حيث ينطلق منها حاملا لواءها فالالتزام يقوم أساسا من الموقف الذي يتخذه المفكر أو الأديب أو الفنان وهذا الموقف يقتضي صراحة ووضوحا وإخلاصا واستعدادا وهو ما يجعل كلا من الأدب والفن الملتزمين هادفين فالفنان الملتزم بفلسفة معينة أو اتجاه معين يستطيع بالتزامه معالجة مشاكل الأمة ويرسم مسارها الصحيح بعيدا عن الغموض والإبهام.[1]

يتطلب الالتزام من الأديب أو المسرحي أو الفنان مهما كان اختصاصه أن يكون " صاحب موقف واضح محدد، وهذا الموقف يفرض عليه الإيمان بشيء إزاء قضايا وطنه الصغير وقضايا العالم الذي لا يمكن أن ينعزل عنه،" [2] فالكاتب عموما يسعى إلى رسم دعائم الاستقرار الاجتماعي بالتزام عقيدة أو فلسفة يراها الأمثل في خلاص المجتمع والمنهاج المناسب لتغيير الأوضاع نحو الأفضل .

وإذا كان المسرح يعتبر احد الأجناس الأدبية والفنية في الوقت ذاته فان الالتزام صفة رافقت مختلف الكتاب المسرحيين في أعمالهم مما جعل الأعمال المسرحية تختلف في فلسفاتها واتجاهاتها الفكرية والعقائد التي تعالجها وما غير ذلك وينطبق هذا الأمر على المسرح

العربي أيضا إذ نجد تعدد الكتابات والمواضيع في النصوص المسرحية حسب اعتقاد كتابها ونزوعهم وتشبثهم باتجاه فكري معين أو فلسفة معينة ترجع إلى ذاتية كتابها بالدرجة الأولى وتأثرهم بقضايا المجتمعات وتطلعاتهم بدرجة ثانية و المسرح الجزائري بدوره يعرف معنى الالتزام من خلال ميول كتابه نحو نزوع فكري معين إذ نجد من ينتهج فكرا ملحميا وسياسيا واجتماعيا في نصوصهم مثل علولة وكاكي وآخرون ومنهم من تبنوا فلسفة ثورية في أعمالهم إذ يعود ذلك إلى حياتهم الثورية التي عاشوها تحت وطأة المستعمر الغاشم الأمر لذي جعلهم يلتزمون في كتاباتهم بفلسفة ثورية تهدف إلى حق الشعوب في التحرر وتقرير مصيرها والوقوف والثورة ضد الظلم والطغيان والاستبداد وغيرها من القضايا المصيرية التي تهم أفراد المجتمعات والشعوب . مثل بشطارزي وعبد الحليم رايس ..وغيرهم .ويعد كاتب ياسين واحد من المسرحيين الجزائريين، الذين التزموا بفلسفة ثورية هادفة، جمعت بين التعبير عن الواقع السياسي والاجتماعي، بغية الثورة ضد هذا الواقع والسعي نحو التغيير في مختلف أعماله؛ سواء ما عالجت منها الواقع الجزائري، أو حتى الواقع العربي بشكل عام.

3. النزوع الثوري والملحمي في مسرحيات كاتب ياسين :

يعد كاتب ياسين من كبار المسرح الجزائري، الذين عالجوا في مسرحياتهم عديد المواضيع ذات النزوع الثوري والملحمي، بحثا عن كشف المستور والغموض الذي يشوب حياة المجتمع الجزائري والعربي ككل، محاولا من خلال أسلوبه المسرحي في الكتابة، أن يبرز التزامه الثوري النابع من فكر ثوري تحرري هو الآخر، بغية تغيير الواقع والثورة ضد الجور والظلم والطغيان، وهو ما لاحظناه في مختلف مسرحياته، التي لا تخل موضوعاتها من فلسفة ثورية وتحررية، على غرار كل من مسرحية الأجداد يزدادون ضراوة، والرجل صاحب النعل المطاطي، والجثة المطوقة وفلسطين المغدورة ...الخ، وغيرها من المسرحيات التي اختلفت

مواضيعها، منها ما عالج الواقع الجزائري إبان الثورة، أو حتى الواقع الاجتماعي للمجتمع الجزائري، حيث تبنى فلسفة ثورية هدفها التغيير نحو الأفضل، ومنها ما عالجت قضايا تهم الأمة العربية، مثلما هو الحال لمسرحية فلسطين المغدورة التي عالج من خلالها، أكبر قضية سياسية يشهدها المجتمع العربي، منذ مدة زمنية طويلة، حيث تبنى في نسج لوحاتها خطابا ثوريا ، بغية الدفاع عن القضية الفلسطينية، وفضح التآمر الدنس على الأمة العربية، والتكالب الصهيونى والأمريكي، على أرض فلسطين المقدسة، وفي المقابل تخاذل رؤساء العرب، في دعم القضية الفلسطينية ...الخ، وغيرها من المواضيع والقضايا الشائكة، التي حاول ياسين في مسرحيته أن يتناولها، بفلسفة ثورية بامتياز، مما يؤكد الالتزام الثوري، لهذا الكاتب المسرحي الجزائري في مختلف أعماله، التي يهدف من خلال مواضيعها إلى الدفاع عن حقوق الشعوب المستضعفة والوقوف في وجه الظلم والطغيان ودعم القضايا التحررية لهذه الشعوب مثلما هو الحل لقضية فلسطين المقدسة .

انتهج كاتب ياسين فلسفة ثورية في كتابة مسرحياته شأنه شان بقية المسرحيين الجزائريين الذين يبدو تأثرهم واضحا بالمسرح الملحمي على غرار كل من عبد القادر علولة وولد عبد الرحمن كاكي وآخرون ممن عاشوا تحت وطأة المستعمر، حيث نلتمس من خلال مسرحياتهم وجود أثر المسرح الملحمي وهو ما ينطبق على كاتب ياسين هو الآخر الذي " صور بكل براعة كل أنواع الضغط الاستعماري والإرهاب والتعسف الذي عانى منه الشعب الجزائري أثناء فترة الاستعمار الفرنسي انه مسرح يدفع القارئ آو المشاهد دفعا من خلال أحداث المسرحية إلى الثورة ضد هذا الاحتلال الغاشم ومن هنا بدأ تأثر كاتب ياسين في تجربته لشكل المسرح الملحمي واضحا بأعمال الكاتب الألماني برتولد بريشت الداعية إلى الحرية والثورة ضد كل أشكال الظلم والاستبداد وهو ما تجسد في مسرحية الجثة المطوقة ،التي بدا فيها التأثر جليا من خلال طابعها الملحمي التسجيلي الثوري "3.

لقد رفض كاتب ياسين في كتاباته المسرحية " تعاطي المواضيع البرجوازية وآمن بمسرح ذي وظيفة سياسية واجتماعية وتوعوية ، كونه كان في حقيقته مواطنا يعيش تحت وطأة المستعمر لذلك خصص قلمه وفكرة لتعبير عن الواقع الاجتماعي والسياسي بنزوع ثوري.4 مما شكل فلسفته الثورية في مختلف كتاباته المسرحية ولم ينحصر هذا الالتزام الثوري في المسرحيات التي عالجت الواقع الجزائري فحسب بل وصل إلى تناول وقائع وقضايا مهمة تخص المجتمع العربي لذلك تعتبر مسرحية فلسطين المغدورة واحدة من أهم إبداعات كاتب ياسين التي تنم من خلال عنوانها على موضوع يجمع بين القضايا السياسية والاجتماعية التي تعيشها الأمة العربية والتي تتمحور في جوهرها حول القضية الفلسطينية ساعيا من خلال مختلف لوحاتها المتتالية إلى فضح المستور وكشف الغموض عنها وفضح التكالب الصهيوني والغربي حول الوطن العربي انطلاقا من أرض فلسطين المقدسة متناولا كل هذه الأفكار بفلسفة ثورية هادفة نحو التغيير وإيقاظ الهمم في نفوس الجماهير من أجل الوقوف في وجه الاغتراب الدنس أو الاحتلال الغربي الصهيوني بشتى أشكاله لفلسطين والأمة العربية والانتصار لها.

يتبنى كاتب ياسين في مسرحية فلسطين المغدورة فلسفة ثورية بمعنى الكلمة حيث يسعى في طيات هذه المسرحية إلى كشف المستور عن قضية فلسطين الأبية والثورة ضد الظلم والطغيان الذي تعاني منه والتخاذل العربي تجاه هذه القضية المصيرية لبقعة مقدسة من بقاع الأمة العربية، ولكي يوصل ياسين التزامه واتجاهه الثوريين في المسرحية ، جاء نص فلسطين المخدوعة في شكل لوحات متتالية تعالج وقائع سياسية، أساسها الثورة ضد الوضع السيئ الذي يعيشه المجتمع العربي ككل تحت وطأة الاستغلال السياسي الغربي والاحتلال الدنس بمختلف أشكاله انطلاقا من أرض فلسطين المقدسة حيث اعتمد في بنائها على

الطابع الملحمي في لوحات متعددة، تعالج كل منها قضية سياسية مهمة لها علاقة بالقضية الفلسطينية، والصراع العربي الصهيوني وأطرافه، مما جعله يتخذ موقفا ثوريا تحرريا ضد الظلم والاحتلال الدنس لأرض فلسطين وفاضحا بكل جرأة أمراء ورؤساء وملوك العرب على تخاذلهم تجاه هذه القضية المصيرية محاولا من خلال كل هذا الالتزام الثوري الذي يتبناه في مسرحيته إيقاظ الهمم وفضح المستور والدفاع عن حق شعب مستضعف من الشعوب العربية بخطاب مسرحي يسعى من خلاله إلى الدفاع عن حقوق الشعوب العربية المستضعفة وانتقاد التخاذل العربي تجاه قضية فلسطين الأبية.

1.3- ملامح الالتزام الثوري في مسرحية فلسطين المغدورة:

تعتبر مسرحية فلسطين المخدوعة -المغدورة- من بين أهم المسرحيات التي كتبها ياسين، والتي عالج من خلالها مواضيع ثورية وسياسية وتحررية، وهو ما ينطبق على مسرحية فلسطين المخدوعة، التي تناولت موضوعا سياسيا تاريخيا، يخص القضية الفلسطينية، لذلك فمسرحية فلسطين المخدوعة هي : " مسرحية التاريخ السياسي لأرض فلسطين المقدسة، كتبها ياسين سنة 1977"[5]؛معالجا من خلالها أهم الأحداث والأطراف الرئيسية، المتورطة في المؤامرة الخبيثة من طرف الصهاينة ومؤيديها ضد أرض فلسطين المقدسة .

ونظرا لطبيعة الموضوع الذي تعالجه المسرحية، جاء نص فلسطين المغدورة في شكل لوحات متتالية تعالج وقائع سياسية، حيث اعتمد في بنائها الدرامي على الطابع الملحمي في لوحات متعددة، تعالج كل منها قضية سياسية مهمة لها علاقة بالقضية الفلسطينية، والصراع العربي الصهيوني وأطرافه.

2.3 ملخص المسرحية:

تبدأ أحداث مسرحية فلسطين المغدورة في دير اليهود، التي يستهلها كاتب ياسين بمشهد ممارسة طقس ديني لمجموعة من اليهود، حيث يتحدث – الربي- في مراسيم هذا الطقس

الديني، عن سيرة النبي موسى،وقصته مع حادثة النار في سيناء، وبعدها خطر في بال الربي فكرة خبيثة عندما يطلق إشاعة حول عودة النبي موسى من جديد، بين الناس، ويقوم بخطة خبيثة بإشعاله النار في مكنسة موسى الكناس موهما الجميع بأنها معجزة الإلهية، وأن موسى الكناس هو النبي العائد، فكانت هذه الخطة قد جعلت موسى الكناس يحظى باهتمام النبلاء والأغنياء ، الذي سرعان ما سارعوا إلى صحبته والتقرب منه، وازداد إقبال الناس عليه لطرح الشكاوي والانشغالات، التي كان موسى يرد عليها بالسخرية، وبينما هو يستقبل الزوار يدخل عليه سكيرين، جاءا ليحتكما لأمر معين، فيقوم الربي بطردهما لأنهما قد أهانا حرمة الدير بدخولهما في تلك الحالة، و عندما يكتشف موسى الخدعة الخبيثة التي أحيكت ضده،وأن مكنسته ليست مكنسة الإلهية، كما يزعم الربي، يحملها ويضرب الربي بها، ويفر من الدير ليلاحقه كل اليهود للانتقام منه.

يحاول موسى فيما بعد التخلص من حمار الربي، الذي كان يمتطيه خشية أن يتعرف عليه اليهود بسببه، وفجأة يرى شخصية محمد العربي المسلم، فيغطى موسى وجهه كي لا يتعرف عليه محمد ويطلب منه أن يأخذ حماره إلى بيت موسى، فيخبره محمد بأن موسى مطارد من قبل اليهود وهم يبحثون عنه ويترصدون قدومه إلى القرية؛يدور الحديث بين هاتين الشخصيتين –محمد وموسى– وبينما موسى يخفى وجهه، يسأل محمد عن رأيه في موسى، وهو لا يزال جاهلا لهويته –موسى – فيجيب محمد : بأنه يشك في صهيونيته فيرد موسى، وهو لا يزال يخفي هويته، بأن موسى ليس صهيونيا كما يدعون، ولم يفعل أي خطأ، ويترك حمار الربي لمحمد، ويزعم بأن موسى هو من طلب ذلك. وهكذا يقوم محمد بإيصال الحمار، وبينما هو في طريقه، يتعرض له سكيران،بعدما تعرفا على حمار الربي الذي معه، فيتهمانه بالسرقة، مما يدفع محمد إلى الفرار وترك الحمار، باحثا عن موسى، وهنا أدرك

محمد أنه خدع من طرف موسى، الذي لم يخبره الحقيقة كاملة، وأن الحمار هو حمار الربي وليس حماره، ليعود إلى البحث عنه بعد أن أخفى وجهه و يلتقيه من جديد ، حيث يدور جدال حاد بينهما،حول أصل المنطقة وتسميتها، إذ يصر محمد على أنها فلسطين، بينما يتمسك موسى بأنها إسرائيل،ويتواصل الجدال بين الشخصيتين، حول المنطقة، حتى قدوم الضابط الانجليزي الذي يتدخل في هذا النزاع، ويتآمر مع موسى، ضد محمد، وفي ذلك إشارة واضحة من كاتب ياسين إلى المؤامرة الصهيونية الانجليزية المدبرة ضد العرب والمسلمين، واحتلال أرض فلسطين المقدسة.

في اللوحة التالية يأخذنا كاتب ياسين إلى موضوع آخر، يعبر من خلاله عن مظاهرات أكتوبر بمصر المطالبة بالاشتراكية والثورة ضد الرأسمالية، حيث يجسد مظاهرات الفلاحين والبسطاء ضد هذا النظام المستبد، الذي تسبب في تدهور حياتهم، مطالبين بالاشتراكية ومادحين النظام السوفياتي الاشتراكي نظرا للنجاح الذي وصل إليه .

المجموعة:

"عمال وفلاحين ...وجنود شعبيين

الداو الحكم .....في روسية

هذه دبزة زوفرية.....لاحقة دبزة فلاح

الاشتراكية ما تجي .....غير بالكفاح

طيحوا حكم الإقطاعية".[6]

يأخذنا ياسين بعدها إلى لوحة أخرى تعالج فكرة مستقلة عن سابقاتها، لكنها تصب في الموضوع الرئيسي حول الصراع العربي الإسرائيلي، انطلاقا من أرض فلسطين المقدسة، حيث يتناول في هذه اللوحة، شخصية محمد الزيتون –موح الزيتون – الذي باع أرضه بثمن بخس إلى المستوطنين الصهاينة، جراء الفقر والعوز، الذي لحق به، ولما اشتد به الأمر،

لجأ إلى السرقة من بساتين الخضار التابعة للمفتي سيف حاج أمين مفتي الديار الفلسطينية، الذي يفاجئ محمد الزيتون وهو يقوم بالسرقة من حقله، فيسأله عن سبب تواجده في الحقل، فيتهرب محمد، ويدعي أنه أخطأ المكان وأنه كان يظن أن الحقل هو حقل الله.وبعدها تظهر مجموعة من الفلاحين والقرويين يهتفون باسم المفتي سيف الدين، طالبين منه المساعدة والسماح لهم بالعمل في حقوله، والتكرم عليهم مما أعطاه الله ، بعدما أصابهم الفقر جراء بيعهم لأراضيهم، للصهاينة والإقطاعيين بثمن بخس؛ وهكذا يدعى المفتي بأنه سيقوم بالدفاع عن هؤلاء الفقراء والفلاحين، وسيحمل انشغالاتهم على عاتقه ويدافع عنها أمام السلاطين وقادة العرب الذين وعدوه بالوقوف إلى جانبه ومساعدته، إلا أن محمد الزيتون لم يقتنع بكلامه، ويحاول المعارضة وإقناع الجماعة بأن المفتي لن يدافع، إلا على مصالحه وحقوله فقط،الأمر الذي يدفع بالمفتي سيف الدين بنعت محمد الزيتون بالكافر والجاهل والخبيث، لتتبع المجموعة رأي المفتي، وتترك رأي محمد؛ وفي ذات المشهد تظهر زوجة محمد وهي جائعة أمام طاوله الطعام، حيث يطلب منها محمد أن تتناول من الزيتون والطماطم المسروقة، فترفض في البداية لأنها علمت أنه مسروق من بستان المفتي، وبعدها تطلب منه أن يحضر القدر من بيت جاره موسى كي تطهي الطعام، ثم يعيده إليه، وتتواصل أحداث المشهد عندما يطلب محمد من موسى أن يعيره الحمار ، فيرفض هذا الأخير، بحجة أن الربي يرفض أن يمتطي العرب حماره، وهكذا إلى أن يدخل الربي عليهما،ويبدأ في الحديث عن النبي موسى، الذي كان يرعى في أرض سيناء قبل أن تقام دولة إسرائيل، طالبا من موسى أن يسرح هو بحماره، وأن لا يجالس العرب أو يصاحبهم.

في المشهد الموالي يظهر كل من محمد وموسى يمتطي كل منهما حمارين، ويتجهان إلى الاجتماع السري، وبينهما هما في الطريق، تخطر على بالهما فكرة إدخال الحمارين إلى الاجتماع، على أساس أن الحمير هي الأكثر عملا و هي من أخرجت نقابة العمال.

في الحدث الموالي تظهر عائشة زوجة محمد وهي تبكي على وفاة والدها،أمام محمد الذي لا يعيرها اهتماما، بسبب انشغاله بالأزمة والفقر الذي وصل إليه، بسبب الحصار الشرس الذي تسبب في الصهاينة على الشعب الفلسطيني؛ مما دفع محمد إلى فكرة مفادها، هو بيع بيته بمبلغ زهيد بسبب الفقر إلى اليهودية استر خطيبة موسى، ويكلف محمد السمسار بودينار بعقد الصفقة بدله وهكذا تم البيع بحضور الربي .

في اللوحة الموالية يظهر هتلر مع سيف الدين مفتي الأراضي الفلسطينية، حيث يستعرض ياسين قضية الصراع النازي الشيوعي، حيث ينتظر سيف الدين قضاء هتلر على اليهود، وهو يهتف –الموت لليهود/ الموت لليهود– بينما يرد عليه الربي بحياة اليهود وموت العرب، وتتواصل أحداث اللوحة بحرق هتلر لكل بيت فيه محمد أو موسى، اللذان يفران من بيتيهما بعدما سمعا هذا الخبر؛ تتواصل الأحداث استكمالا لهذه اللوحة، عندما يظهر الربي وموسى وهما يبكيان أمام حائط المبكى، بينما يقابلهما محمد بالسخرية، و بعدها يظهر سموال هيربرت، المندوب البريطاني، الأعلى في فلسطين، حيث يتهم الجماعة بالتشويش،–الربي /موسى /محمد– ويطلب منهم إخلاء المكان في مدة أقصاها أربعة وعشرون ساعة؛ يتوسط الربي ويطلب من المندوب البريطاني الإبقاء على موسى، كونه يهودي وله كامل الحق في العيش في فلسطين، حيث يجيبه المندوب بأنها مجرد مؤامرة وتمويه للتخلص من محمد، وفي ذلك إشارة إلى المؤامرة الخبيثة بين البريطانيين والصهاينة لطرد المسلمين من أرض فلسطين الأبية.

يتناول ياسين فيما بعد قضية الصراع العربي الإسرائيلي، حيث يجسد ذلك، في هذه اللوحة بمعركة بين الديكة، – ديك محمد الزيتون، وديك موسى الكناس–، تحت إشراف كل من انجلترا وأمريكا، فيساند الجميع الديك اليهودي، بينما يساند العرب ديك محمد ويهتفون بحياة العرب، وتشتد المعركة بين الديكة ، لتتطور إلى عراك جسدي بين محمد وموسى، وهنا تتدخل أمريكا لحل النزاع لصالح موسى، فينتصر اليهودي على العربي،أمام الحاضرين، وهنا إشارة إلى توطئ أمريكا مع الاحتلال الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني والأمة العربية.

بعدها يتناول ياسين قضية تخاذل بعض قادة وسلاطين العرب تجاه القضية الفلسطينية، التي وصلت إلى درجة الخيانة .

لقد كان كاتب ياسين يدعوا من خلال هذه اللوحات أيضا، إلى ضرورة تبني النظام الاشتراكي في مختلف الدول العربية، وضرورة الاتحاد و الكفاح ضد الكيان الصهيوني لتحرير فلسطين.

3.3 تجليات الالتزام الثوري في لوحات مسرحية فلسطين المغدورة:

يلحظ القارئ والمتمعن في لوحات مسرحية فلسطين المغدورة وجود التزام ثوري لكاتب ياسين في موضوع هذه المسرحية، مثلما هو الحال لباقي مسرحياته الأخرى، غير أن فلسفته الثورية في هذه المسرحية، قد تجاوزت الواقع الجزائري إلى تناول اكبر قضية يعيشها المجتمع العربي وهي القضية الفلسطينية محاولا في مختلف لوحاتها أن يبرز فلسفته الثورية الهادفة إلى إصلاح أحوال الشعوب المضطهدة والانتصار لها وفضح المؤامرات الخبيثة ضدها، والإصرار، على حقها في تقرير مصيرها ..وغيرها من الأفكار والقضايا التي تناولها والتي تنم عن التزامه بفلسفة ثورية تحررية في موضوع هذه المسرحية مثلما هو الحال في باقي الأعمال الأخرى .

يتجلى هذا الالتزام الثوري في لعديد من الأمثلة التي تخللت لوحات المسرحية إذ يحاول ياسين بلغته وأسلوبه التعبير عن صراع معين والدفاع عن حق لشعب الفلسطيني في حريته وأرضه ففي اللوحة الثالث في مشهد محمد وموسى:

موسى: جيت نعرضك تأكل الدجاج

محمد: كنت جاي نعرضك

موسى : إيه تعرضني كي نكون في دارك .

محمد: راني في داري .

موسى : أيا هبلت واش اسم دوارك .

محمد: فلسطين وأنت؟

موسى: إسرائيل .....الخ 7

يحاول ياسين من خلال هذا المشهد وغيره أن يشير منذ البداية الى قضية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي حول هوية الأرض المقدسة ونلحظ في بقية المشهد ميول كاتب ياسين إلى دعم قضية فلسطين المحتلة في مسرحيته من خلال تركيزه في بقية الحوارات على الصراع القائم بين محمد وموسى من جهة وتدخل الانجليز لدعم اليهود من جهة ثانية في إشارة منه إلى الظلم والاستبداد والطغيان الذي يعاني منه الشعب الفلسطيني جراء التكالب والتآمر الغربي والصهيوني وهو ما جسده في بقية أحداث اللوحة الثالثة عند تدخل الانجليز لفك النزاع بين محمد الذي يرمز من خلاله إلى الشعب الفلسطيني وموس إلى إسرائيل

محمد : هذا دواري

الانجليز : دوار الانجليز

يصافح الانجليز موسى الإسرائيلي ويتغامزوا على محمد –موسى والانجليز دوار لانجليز دوار إسرائيل.8

تعد قضية الدفاع عن الاشتراكية والوقوف ضد الرأسمالية واحدة من القضايا التي تبناها ياسين في فلسفته والتزامه الثوري في مسرحه ولم تخل مسرحية فلسطين المغدورة من تناول هذه القضية كونها كانت ذات اثر كبير على حياه الشعوب العربية حيث يحاول في لوحة مظاهرات أكتوبر بمصر أن يدافع عن الاشتراكية كنظام يهم الشعوب المستضعفة والوقوف والثورة ضد الرأسمالية التي لا تشكل سوى نظاما إقطاعيا واستبداد اثر على حياة البسطاء من الشعوب وأفراد المجتمعات وهو ما يتجلى في شعارات المظاهرات التي جسدها ياسين في اللوحة الموالية :

المجموعة: عمال وفلاحين وجنود شعبيين ....أداو الحكم في روسيا.

هذه دبزة زوفرية لاحقه دبزة فلاح ...الاشتراكية ما تجي غير بالكفاح

عمال وفلاحين وجنود شعبيين طيحوا حكم الإقطاعية

مجالس عمل السوفيات أداو الحكم فالحين ....وفتح للإنسانية وطبقات العمال لكادحين

طريق التحرير والعهد الزين ...الخ .9

من خلال هتافات المجموعة في ترديد شعارات المتظاهرين في هذا المشهد، تتجلى فلسفة الالتزام الثوري، لياسين في مسرحيته، وهذه المرة يحاول أن يدافع عن نظام الاشتراكية، الذي يحقق حياة كريمة للشعوب الفقيرة، والطبقات الكادحة في المجتمعات، وفي المقابل ينتقد بفلسفته الثورية نظام الإقطاعية، الذي اثر سلبا على حياة هذه الشعوب وخاصة الشعوب العربية .

وفي باقي اللوحات يحاول ياسين تفسير التكالب الغربي والأمريكي والإسرائيلي على أرض فلسطين محاولا فضح أهداف، هذا التكالب، ومبرزا من خلال حوارات المسرحية، النوايا الخبيثة لكل طرف من هؤلاء، تجاه فلسطين والعرب ككل .

المفتي: يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم .

العرب: سيف الدين حاج أمين ...سيف الدين حاج أمين ... سيف الدين حاج أمين.

الانجليز: يلزم الصهيونيين ما يخلوش العرب يستقلوا

فرنسا: يلزم العرب يكافحو اسرائيل، باش ينساوا حاضرنا في بلادهم .

الانجليز: متافقين .

المريكان: خلوني نعمل أربيتر انأ ماريكاني جاي جديد مازال ما يعرفونيش.[10]

.....بعد نشوب المعركة بين العرب واليهود –بين محمد وموسى –وانتصار اليهود .....

المريكان: موسى رابح في الدورة الأولى

اليهود : إسرائيل إسرائيل

العرب اواواو

مريكان : ما تتقلقوش انظم لكم معركات أخرى

ففرنسا: حاكمة .

الانجليز : اترفهنا .

...المريكان وفرانسا والانجليز فرحو بالمكيدة اللي دبروها لفائدتهم باش يبيعوا السلاح

فرنسا : وضروك أنبيعولكم السلاح ....الخ [11]

من خلال هذه المقاطع من نص المسرحية، يتجلى هدف ياسين السياسي والثوري التحرر نحو فضح التآمر الدنس على فلسطين، والشعوب العربية، من خلال إبراز نوايا كل طرف من أطراف هذه القضية، محاولا فضح المكيدة التي دبرتها كل من أمريكا وانجلترا وفرنسا،

في هذا الصراع العربي الإسرائيلي، وأهدافها في تحقيق أرباحها التجارية في تسويق الأسلحة، والسياسية الرامية إلى بسط نفوذها واحتلالها للشعوب العربية المستضعفة، على حساب الاضطهاد والحرمان والاستبداد، الذي يعيشه لشعب الفلسطيني والعربي، جراء سياسة الاحتلال الإسرائيلي لأرض فلسطين المقدسة.

4.3 تخاذل بعض قادة العرب تجاه القضية الفلسطينية :

تناول ياسين هذه القضية بكل جرأة من خلال إشارته إلى مؤامرة مع الرئيس روزفلت بشأن تمرير الأسلحة إلى الشرق الأوسط في ذلك إشارة واضحة إلى خيانة العديد من قادة العرب، للقضية الفلسطينية والعديد من الدول العربية لتي عاشت تحت وطأة الاحتلال لذلك يهدف ياسين في حوارات هذا المشهد إلى فضح هذه الخيانة وغيرها التي آلت إلى إبرام صفقات مع الرئيس روزفلت .

عبد العزيز : واجد باش نعاونك يا سي البريزيدان، ولكن ما نحب حتى حكم أجنبي كيما في مصر وسوريا والعراق.

روزفلت : ما دامني رئيس أمريكا ما نسمحش، باش تتهدد على الشعب لعربي .

عبد العزيز : ما نبيعوا حتى شبر نكروا لكم الأراضي لمدة خمس سنين ونصيب من السلاح يرجع لينا .

روزفلت وحنا نطلبوا منكم ما تهجموش على أحبابنا في العالم .12

وتعددت الأمثلة في العديد من الشخصيات التي عبر من خلالها ياسين عن فكرة تخاذل قادة العرب تجاه ارض فلسطين.

4. خاتمة:

تعد مسرحية فلسطين المغدورة واحدة من بين العديد من مسرحيات كاتب ياسين، التي اتسمت بفلسفة والتزام ثوري يهدف، إلى الدفاع عن الحرية وحق تقرير المصري وتعددت الأمثلة في العديد من لوحات المسرحية التي تناولت عديد القضايا الإيديولوجية والسياسية الشائكة حول قضية لا تهم الشعب الفلسطيني بل هي قضية الأمة العربية محاولا من خلال هذا لالتزام الثوري في طيات عمله أن يفضح المؤامرات الدنسة تجاه شعب اعزل وأهداف الدول الغربية في تحقيق أرباحها التجارية في بيع الأسلحة ونشر الحروب، وتوسيع احتلال الشعوب العربية، مقابل الحرمان والاضطهاد والاستبداد، الذي عانت منه الشعوب العربية جراء سياستها الخبيثة، هذا ولم يغفل ياسين عن انتقاد سياسة العديد من الدول التي تسعى لتحقيق استقرارها، على حساب تعاسة أشقائها، من الدول العربية المستضعفة مثلما هو الحال لفلسطين.

إن ما يميز مسرحية فلسطين المغذورة عن باقي مسرحيات كاتب ياسين بل والعديد من المسرحيات الجزائرية هو مضمونها الذي يعالج قضية مهمة على الصعيد العربي بالدرجة الأولى مقارنة بباقي المسرحيات التي تناولت الواقع المحلي .

لقد ركز كاتب ياسين منذ البداية على القضية الفلسطينية باعتبارها قضية محورية عند الأمة العربية التي تحتاج من المجتمع العربي التكاتف ضد هذا التكالب الصهيوني الغربي ضد فلسطين والأمة العربية .

تناول كاتب ياسين في مختلف اللوحات التي تخللت المسرحية ، أحداثا وفق موقف ثوري التزم به منذ البداية أساسه الدفاع عن القضية الفلسطينية، وإيقاظ الهمم في نفوس المجتمعات العربية، وكشف المستور و المسكوت عنه، تجاه هذه القضية، وفضح التآمر الدنس من الدول الغربية تجاه الأمة العربية،

كان كاتب ياسين يهدف من خلال كل هذه الأفكار والقضايا الإيديولوجية والسياسية، التي تناولها في طيات مسرحيته إلى الثورة، ضد الوضع القائم في فلسطين، وباقي الأمة العربية، والسعي إلى الحرية، وحق تقرير المصير، وهو ما يثبت تشبث ياسين بالتزامه الثوري مثلما هو الحال لباقي مسرحياته غير أنه في أحداث فلسطين المغدورة، تناول موضوعا يهم الأمة العربية، مقارنة بباقي أعماله، التي عبرت عن الواقع المعاش في المجتمع الجزائري .

5. قائمة المراجع:

1. ينظر أحمد أبو حاقة ، الالتزام في الشعر العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1976 ط 1 ، ص 14
2. نجيب الكيلاني ، الإسلامية والمذاهب الأدبية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، س ط 1987 ، ص ، 40 .
3. بوعلام مباركي، حركة المسرح الجزائري من البدايات إلى التجريب، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية ، مركز جيل البحث العلمي العدد 21 يوليو 2016 ص 14
4. ينظر سنوسية بحفيظ، جماليات التلقي في المسرح الجزائري، مسرحيات عبد القادر علولة أنموذجا، أطروحة دكتوراه إشراف د ميراث العيد جامعة وهران 1 احمد بن بلة قسم الفنون السنة الجامعية 2011 /2012 ص 97
5. عيسى رأس الماء –الخطاب الإيديولوجي في المسرح الجزائري، أطروحة دكتوراه– قسم الفنون/ جامعة وهران /2008/ ص326.
6. كاتب ياسين، مسرحية فلسطين المخدوعة، منشورات القصبة د.ط 1984 ص 09
7. المرجع نفسه ص 15/14
8. المرجع نفسه ص 16
9. المرجع نفسه ص 17.
10. المرجع نفسه ص 36
11. المرجع نفسه ص 37.
12. المرجع نفسه ص **40.**